الفصل الثاني

عقد العمل

- العقد ضرورة .
- غاية العمل .
- حوافز العمل .
- شروط العقد .
- عقود أخرى .
- حق الاضراب .

obeikandl.com

العقد ضرورة

لابد للحياة من ضوابط • هذه الضوابط هى التى تحدد علاقة الفرد مع نفسه ومع الناس وتضمن لهذه الحدود ألا تنتهك وألا يعتدى عليها وأن يحفظ لها احترامها وهيبتها •

والعقود هى ضوابط الحياة وسياج أن تكون هى العقود المكتوبة أو المتعارف عليها بين الناس والتى تحدد العلاقات بينهم وتنظم معاملاتهم كما فى عقد الدين أو عهد الله على الناس أن يقيموا شعائره ويحلوا ما أحل لهم ويحرموا ما حرم عليهم •

والاسلام يقدس العهود والعقود ويأمر أتباعه باحترامها وتقديسها حتى مع غير المسلمين فيقول الله تعالى فى أول سورة المائدة « **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** »(١) ويقول : « **وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا** »(٢) •• كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « المسلمون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » ويقول : « لا أمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » •

بل ان نظرة الاسلام الى العقود والعهود تمتد الى ما هو أسمى وأبعد من ذلك بكثير وتلفت الانسان الى معانى سامية عظيمة تليق بانسانيته • ذلك لأن نظرة الاسلام الى الانسان نظرة تقدير وتكريم تلزمه بأن يتسامى بنفسه ويجتهد للارتفاع بها الى تلك المنزلة التى خصه بها خالقه وشرفه •• فقد قال تعالى : « **واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم** »(٣) •

أى أن الله أجرى عهدا بينه وبين الانسان من بدء الخليقة وشرفه بأن أهله للتعاقد مع خالقه وأوجد له الذمة أى الأهلية لما له وما عليه • « **انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان** »(٤) •

---

(١) المائدة : ١ (٢) الاسراء : ٣٤

(٣) الأعراف : ١٧٢ (٤) الأحزاب : ٧٢

وأيا ما كان رأى المفسرين فى معنى هذه الآية الكريمة فهى تثبت ولا شك أن هناك أمانة حملها المولى تعالى للانسان وأن الانسان ملزم أمام ربه بحمل الأمانة دون سائر خلقه .

ولقد حرص القرآن كما حرص الرسول عليه الصلاة والسلام فى الحض على الأمانة ورعايتها وحفظها وحفظ العهد والوفاء به فوجب على المسلم الحق أن يبنى معاملاته على هذا الأساس السامى من حفظ العهد والأمانة حتى يرتفع الى هذه المرتبة الشريفة التى خصه بها الله تعالى .

وهكذا وضع الاسلام كل تشريعاته مراعيا أن العبرة دائما بالوجدان اليقظ والضمير الحى وقد ربط وجود الانسان على الأرض بخالقه فهو يرعى الانسان والانسان يرقبه ويسعى لاحكام الصلة بينه وبينه ومع ذلك فقد أتى بتشريع محكم الحلقات متين البنيان سبق فى كثير من مناحيه التشريع المدنى الحديث بقرون عديدة تزيد على العشرة(١) .

والعمل أمانة كلف بها الانسان لعمارة الكون واستخراج ما أودع الله له من رزق فى أرضه .

لذلك نظم الاسلام علاقة العمل تنظيما لم تسم اليه شريعة من قبله واذا كان عنوان هذا الباب « عقد العمل » فلأن كل علاقة بين شخصين أو أكثر من المفروض أنها تخضع لشروط تنظمها وينتظمها عقد .

ومن المعروف أيضا أن الفرد عند قيامه بانشاء عقد ما فان أول ما يتبادر الى ذهنه ويعمل على توضيحه فى العقد بل ويكون من أول بنود العقد هو « الغاية » من هذا العقد .

* * *

(١) نظرية الاسلام الاقتصادية ـ للمؤلف ص ٩٥ ؛ ٩٦

غايــة العمــل

هدف النشــاط البشرى فى سائر النظم الوضعية هو تحقيق أكبر قدر من الربح للوصول الى مجتمع الرفاهية كما تدعى الرأسمالية أو تحقيق الكفاية المــادية للجميع كما تزعم النظم الاشتراكية •

وقد أدى استهداف المــادة الى ما يعانيه العالم من صراعات مريرة بين النظم المــادية المختلفة لا سيما وأنها جميعا تسعى الى التحكم والسيطرة •

لكن التصور الاســلامى للدنيــا كمزرعة للآخرة يجعل المصلحة المــادية ليست هدفا بل وسيلة لتحقيق الفلاح والسعادة الانسانية •• اذ يقول المولى عز وجل : **« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة »**(١) •

ولذلك يتفرد التشريع الاســلامى بسياسة خاصة لا ترتكز أساسا على الفرد كالنظم الفرديــة ولا على المجتمع فحسب شــأن المذاهب الجماعية وانما قوامها التوفيق والمواءمة والموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله : **« وكذلك جعلناكم أمة وسطا »**(٢) •

فبينما النظام الرأسمالى يطلق الحرية الكاملة للفرد فى ممارسة النشــاط الاقتصادى مما يحفز البــاعث الشخصى ويدفع النشــاط الاقتصادى ويوسعه الا أن هذه الحرية أدت الى مساوىء أهمها : اتجاه النشــاط الانسانى الى تحقيق أكبر قدر من الربح بغض النظر عن الحاجات العامة الأساسية وانتشار البطالة والأزمات الاقتصادية ولمــا كان الأفراد ليسوا على درجة واحدة من الكفاءة فقد ساعد ذلك على سيطرة الأقوياء واستئثر الأقلية بخيرات المجتمع وبالتالى الى سوء توزيع الثروة فالصراع بين الطبقات •

وأما النظام الاشتراكى فيجعل المجتمع هدفه فيقدم مصلحة المجموع على مصلحة الفرد وتتدخل الدولة فى الأنشطة الاقتصادية وتتملك معظم

---

(١) القصص : ٧٧ (٢) البقرة : ١٤٣

وسائل الانتاج بهدف اشباع الحاجات العامة وتلافى البطالة والأزمات الاقتصادية ورعاية مصلحة الأغلبية .

الا أن هذه السياسة أدت الى مساوىء أهمها : ضعف الحوافز الشخصية والمبادرات الفردية وبواعث الرقى الاقتصادى فضلا عن الضغوط والتعقيدات الادارية وتحكم البيروقراطية وضياع الحرية الشخصية التى هى جوهر الحياة الانسانية .

أما وسطية الاسلام فقوامها حفظ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة : « **لا تظلمون ولا تظلمون** »(١) . كما جاء فى القرآن الكريم وهو ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم فى القاعدة الشرعية القويمة : « لا ضرر ولا ضرار » التى تصلح أساسا لكل سعى الانسان فى الحياة .

وقد ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم المثل فى التوفيق بين المصلحتين الخاصة والعامة فى قوله : « ان قوما ركبوا سفينة فاستهموا فصار لكل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأسه فقالوا له : ماذا تصنع ؟ قال : هذا مكانى أصنع فيه ما أشاء فان أخذوا على يده نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا »(٢) .

ويحرص الاسلام على هذه الوسطية التى تجعل الحياة تمضى فى تناسق وسلام مع النفس ومع الناس وتجمع بين الفكر والاعتقاد وبين الخلق والعمل ولا تفرق بين الأخلاق الشخصية والمعاملات الاجتماعية وترفض ازدواج الشخصية أو تناقضها فلا ترضى أن تكون للشخص حياة عقلية مؤمنة وحياة خلقية كافرة أو فاسقة أو تكون له حياة خاصة يفعل فيها ما يشاء من الفحشاء والمنكر وحياة عامة يزعم أنه يلتزم فيها حدود الفضائل والعدالة .

هذا التفريق لا يعترف به الاسلام الذى يهتف قرآنه بقول العليم الحكيم : « **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** »(٣) .

---

(١) البقرة : ٢٧٩

(٢) من بحث للدكتور شوقى الفنجرى بالعدد ٢٠٦ من مجلة العربى الكويتية .

(٣) الصف : ٢ ، ٣

« وهذا أمر معقول فى دين كالاسلام يدعو الى اعتناق مذهب وحدة الحياة وامتدادها الى الأبد بعد الموت فى الدار الآخرة ، وبالتالى يدعو الى وحدة العمل ويجعله كله من العبادة سواء أكان عملا للمعيشة هنا فى الدنيـا أم للعيش هناك فى الآخرة ، فلا يقول هذا عمل دنيوى وذاك عمل أخروى ، بل يقول فى كل أنواع العمل : هذا عمل صالح ينفع الناس ويمكث فى الأرض لامداد الحياة بمدد الخير ، فهو اذن عبادة سواء أكان فى ظاهره للدنيا أم للأخرى ؛ وهذا عمل فاسد يؤذى الحياة ولا يمدهـا بخير ، فهو اذن كفر أو فسق ؛ سواء أكان ظاهره عملا دنيويا أم أخرويا •

ومن هنا قرر الاسلام أن كل الأعمال واللذات الطيبة يجوز أن تتحول الى عبادة اذا قدمت أمامها النية الخالصة فى حفظ هبة الحياة والانتفاع بها واحترام ارادة واهبها »(١) •

واذا كان الايمان هو روح العمل وسره فان العمل هو جسم الايمان وشكله والفصل بينهما لا ينتج الا صورا من الحياة ناقصة أو مشوهة أو جافة أو عقيما •

فالذى يؤمن ولا يعمل يعيش فى فراغ وتجريد وعجز •• ولا حصيلة واضحة لحياته ولا دلالة واضحة على ايمانه ، والذى يعمل بدون ايمان يعيش كالآلة بدون روح يلهمه ويؤنسه ويسدده ويدفعه ولا يحس ما وراء العمـل من قيم خلقية وانما يحس ذلة السخرة وغموض السر فى أعباء الحياة التى تمضى به بدون تفسير يعمر قلبه بالطمأنينة والسكينة والفهم •

ويقرر الاسلام أن حياة الايمان بدون عمل هى عقيم كحياة شجر بلا ثمر فهى حياة تثير المقت الكبير لدى واهب الحياة الذى يريدها خصبة منتجة كثيرة الثمرات •

كما يقرر الاسلام أن العمل بدون ايمان جهد ضائع على صاحبه وهباء منثور كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف • يقول القرآن الكريم : **« مثل الذين كفروا بربهم ، أعمالهم كرماد اشتدت به الريح**

---

(١) المـادية الاسلامية وأبعادها لعبد المنعم خلاف ص ١٦٣

فى يوم عاصف ، لا يقدرون مما كسبوا على شىء »(١) . ويقـــول : « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا »(٢) .

ويحدثنا الدكتور محمد عبد الله العربى رحمه الله فى بحثه المقدم للمؤتمر الاسلامى الثالث لمجمع البحوث الاسلامية عن الغاية من العمل فى الاسلام فيقول :

«كل منتج لسلعة أو لخدمة ــ فى النظام الرأسمالى ــ يحرص على أن يقتضى من المجتمع الذى يشتريها منه أقصى ربح ويضع فى تدبيره عند تحديد ثمن السلعة أو الخدمة بلوغ هذا الهدف غير قانع بربح معقول فوق تكاليف الانتاج . هذه هى العلة البارزة فى كل صور النشاط الاقتصادى فى النظام الرأسمالى ، والتى تولدت منها المساوىء التى رأيناها كالامعان فى الاحتكار واستغلال المستهلكين بالغش والخداع أو الاعلان الكاذب واستغلال العمال الأجراء بتخفيض أجورهم الى الحد الأدنى والتآمر على شراء المواد الخام اللازمة للصناعة بأبخس الأثمان .. والامعان فى التصنيع الحربى لأن المصنوعات الحربية تؤتى ربحا يربو على ربح المصنوعات السلمية أضعافا مضاعفة ، ثم التآمر على خلق مجالات لاستعمال حكوماتهم لهذه المصنوعات حتى لا ينقطع الطلب عليها .

وكذلك سياسة الانتاج لا يبتغى بها فى الاقتصاد الرأسمالى سداد أهم حاجات المجتمع بقدر ما يبتغى بها الحصول على أكبر ربح ، فهم يسارعون من أجل ذلك فى انتاج السلع وانجاز الخدمات التى تلبى مطالب أقدر المستهلكين على دفع أعلى الأثمان . فاذا نظرنا الى ثمرة هذا النشاط الاقتصادى وما فاء به على العامل ، كيف يكون تصرفه فى هذه الثمرة ؟ كيف يرسم العامل سياسة انفاق دخله ؟ لا نجد هنا أى قيد عليه من دين أو قانون الا ما تمليه شهواته أو غروره بعكس ما تقضى به تعاليم الاقتصاد الاسلامى .

والعمل فى المنهج الاسلامى بمعناه العام ينصرف الى أهم جوانب هذا المنهج ، أى أنه أهم نشاط للمسلم فى هذه الحياة الدنيـــا .. لذلك

---

(١) ابراهيم : ١٨ (٢) الفرقان : ٢٣

ورد ذكره فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة وقرنه بالايمان ، فكلما ذكر الايمان ذكر معه العمل الصالح ، أى أن الاسلام يشترط دائما ترجمة ايمان المسلم الى عمل صالح وفى آيات أخرى ينبئنا العليم الحكيم أنه سبحانه خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا فى هذه الحياة .

فكيف يكـــون عمـــل المســـلم عند الله ؟

يكون عمله حسنا عند الله اذا ابتغى به رضـــاء الله ولن ينال أحد رضاء الله الا اذا التزم هدايته ؛ وهداية الله على لسان رسله الى البشر تتلخص فى توجيه الانســـان الى تحقيق فلاح الدارين .. الدنيـــا والآخرة .. اذن العمل فى الاسلام فى كل أوضاعه وألوانه له هدف واحد ؛ هدف مشترك لكلياته وجزئياته هو تحقيق فلاح المسلم فى الدنيا والآخرة .

ونحن فى هذا البحث نعالج جزءا محدودا من عمل المسلم ، نشاطا واحدا من بين أنشطته الكثيرة هو نشاطه الاقتصادى . ولمـــا كان الهدف من عمل المسلم فى مجموعه هو تحقيق فلاح الدنيا والآخرة فالجزء من الكل يلتزم بالبداهة نفس الهدف وكما تسرى تعاليم الاسلام على الكل تسرى على هذا الجزء بالذات . اذن النشاط الاقتصادى فى الاسلام مفروض فيه فرضا حتميا أن يلتزم الهداية الالهية المتمثلة فى تعاليم الاسلام وفى مقدمتها القيم الخلقية التى فرضها القرآن وفصلتها السنة .

« قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »(١) .

« وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون »(٢) .

« ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون »(٣) .

---

(١) المؤمنون : ١ ــ ١١ (٢) المائدة : ٣٥
(٣) الروم : ٣٨

والنشاط الاقتصادى الذى يباشره المسلم هو بضعة من هذا العمل الذى يؤدى الى الفلاح المنشود .. فلا غرو أن يكون سعيه فيه متجها الى هذا الهدف .

ويجب أن نقرر أن مطلب « الفلاح » هذا يتجاوز فى مداه مطلب « الرخاء » الذى تدعو اليه بعض المذاهب فى الاقتصاد المعاصر ذلك أن الرخاء عندهم هو مطلب مدى بحت وفى أحسن معانيه يشير الى صلاح أمور هذه الحياة الدنيا . أما مطلب « الفلاح » فى الاسلام فيجمع بين خير الدنيا وخير الآخرة . ذلك لأن الآخرة عند المسلم حقيقة ثابتة والدنيا عنده مزرعة للآخرة . فكان من الطبيعى أن يجعل سعيه فى الدنيا يتفق مع طلب الفلاح فى الآخرة وأن يربط بين فلاحه الدنيوى وفلاحه الأخروى فى اطار واحد برباط وثيق ومن هنا كانت الاختلافات بين النشاط الاقتصادى الاسلامى والنشاط الاقتصادى المعاصر اختلافات جوهرية »(١) .

ويزيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم بيانا فى أمر العمل فى الاسلام فيقول : « ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد الا كان له صدقة » .

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر المسلم بزرع الفسيلة(٢) أن وجدت فى يده وقت قيام الساعة .. وهكذا يوضح لنا الرسول ويبين ما جاء فى القرآن الكريم من أهداف الحياة على هذه الأرض وما أمر الله به الانسان من اعمارها واستخراج خيراتها الظاهرة والباطنة التى أودعها الله فيها والتعرف على الخالق العظيم فى أسرار مخلوقاته .

ويحفزنا الرسول الى الجد فى العمل لأن كل عمل لله يدخر لنا الله من أجله الأجر الكريم وهو القائل جل ثناؤه : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** »(٣) .

وفى الدعوة للعمل الجاد لاعمار الأرض يقول المولى عز وجل : « **فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** »(٤) .

---

(١) ص ٢٩٧ ، ٢٩٩ من كتاب المؤتمر

(٢) الفسيلة الجزء من النبات يقطع من أصله ليعاد زرعه .

(٣) التوبة : ١٠٥ (٤) الجمعة : ١٠

« وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم »(١) .

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه »(٢) .

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله »(٣) .

وفضل الله ورزقه سبحانه فى هذه الآيات وغيرها كثير ينبه الانسان الى الصلة القائمة أبدا بين الساعى الى الرزق والرزاق الكريم ، والمزاوجة الأبدية بين الروح والمسادة فى كل تكاليف الاسلام .

والرسول صلى الله عليه وسلم الذى أوتى جوامع الكلم يلخص كل ذلك فى حديثه الشريف عندما رأى صحابته يوما ينظرون الى شاب يسرع الى العمل فقالوا : « لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ، فقال لهم : لا تقولوا هذا .. فان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشىء لا يحبه الا لله » .. فاذا كان الله غايتنا فى كل سعى فى الحياة فلنبشر ولنستمع ونؤمن ببشارة الرسول الكريم : « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله وجهه كالقمر ليلة البدر » .

واذا كان الله غايتنا فلتكن هممنا عالية تتسق مع هذه الغاية التى ليس وراءها غاية ولا نخشى شيئا لأن الله لا يتعاظمه شىء والرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد بشارته لنا فى قوله : « سلوا الله الدرجات العلى ، فانما تسألون كريما واذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فان الله لا يتعاظمه شىء » .

❋ ❋ ❋

---

(١) الاسراء : ١٢ (٢) الملك : ١٥

(٣) الجاثية : ١٢

حوافز العمـــل

لقد رأينا عظم الغاية من العمل فى الاسلام وقد كان لابد للمسلم كى يسعى جاهدا الى غايته العظمى من ضمانات أو حوافز تدفعه وتهديه الى الطريق المستقيم الذى يؤدى به الى هذه الغاية .

واذا كانت النظم الاشتراكية تلتزم بتوفير فرصة العمل لكل مواطن ليشعر بالأمن والاطمئنان الى سبل الرزق فان القرآن الكريم من ألف وأربعمائة عام مضت وقبل ظهور التطبيقات الاشتراكية المتعثرة يقول :

« وفى السماء رزقكم وما توعدون »(١) .

« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها »(٢) .

« وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم »(٣) .

وغير ذلك كثير من آيات القرآن التى تهدف الى تأمين الانسان على حياته فيسعى ويدخل فى مجال السعى والعمل وهو مطمئن آمن لا يساور نفسه قلق وخوف وبذلك يكون ايجابيا فى سعيه وعمله ومتقنا ومجيدا لهذا العمل موقنا بصدق وعد الرزاق : **« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض »**(٤) .

والاقبال على العمل واجادته هما أقصى ما يرجى من الانسان لأنه فى العمل وحده تتجلى انسانيته ويظهر فيه ابداعه .

ولم يكن اسناد الرزق الى الله تعالى فى مثل هذه الآيات دعوة الى التواكل والتقاعد به هى دعوة للعمل لأن القعود عن السعى يضاد قانون الحياة الانسانية ويضاد الرسالة التى طلب من الانسان أداؤها .

والاسلام فى ذلك يدعو الفرد لبذل الجهد وافراغ طاقاته التى وهبها الله له ليعمل فى حدود امكاناتها لا أن ينتظر من الدولة أن تدبر له كل أموره كما فى النظام الاشتراكى الذى حاول أن يطبق أحلامه ونظرياته

---

(١) الذاريات : ٢٢ (٢) هـود : ٦

(٣) العنكبوت : ٦٠ (٤) الأعراف : ٩٦

الخيالية ففشل رغم مذابح لينين وستالين فى روسيا عندما حاولا تطبيق الشيوعية التى تنادى بالمساواة فى الأجر بين الجميع أو كما يقولون : « من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته » .. حتى اضطر ستالين أن يقرر فى مؤتمر الانتاج الذى عقده سنة ١٩٣١ بأن : « سير التقدم قد تعثرت خطاه نظرا للطريقة التى يسير عليها العمال من اهمال وتكاسل نظرا لاطمئنانهم الى المساواة فى الأجور .. » وقال : « اذا أردنا المقدرة الصناعية فلابد أن يكون الأجر على درجات تحدد الفروق بين العامل الحاذق وغير الحاذق والعامل المجتهد والعامل البليد ويجب أن يحدد الأجر لا بحسب حاجة العامل بل بحسب ما أتم من عمل » .

وبعد حملة تطهير أخرى دامية وقف ستالين سنة ١٩٣٤ يتحدث عن معارضيه قائلا : « ان هؤلاء القوم يحسبون أن الاشتراكية الشيوعية تستلزم المساواة فى الأجر ، ألا ما أسخفه من رأى ؟ ان المساواة التى نادوا بها أضرتنا أكبر الاضرار »(١) .

ولقد اتجهت روسيا بعد ذلك الى اقتباس النظم الرأسمالية لحفز عمالها الى تجويد وزيادة الانتاج وقد لخص كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى فى اجتماع اللجنة المركزية للحزب المنعقد فى سبتمبر سنة ١٩٦٥ ما يراه من أسس جوهرية لهذا التطوير الجديد على الوجه الآتى :

١ ــ الاهتمام بالحوافز المادية على نحو أكثر فعالية ، بحيث يشعر العامل بأثر العائد المادى فى حياته المعيشية مباشرة ويجب أن يرتبط الحافز المادى بانتاجية العامل الفعلية .

٢ ــ الاهتمام بعنصر الربح ، لا باعتباره مكسبا خاصا لأصحاب المال والحافز الوحيد لهم كما هو فى النظام الرأسمالى بل باعتبار أن الربح يشكل معيارا ــ فى حالات كثيرة ــ يقاس به نجاح المشروعات الصناعية .

٣ ــ ضمان وتأكيد مبدأ الادارة الذاتية لكل فرع من فروع الصناعة واعتبار الادارة الذاتية جزءا لا يتجزأ من التنظيم الاقتصادى .

---

(١) ص ٢٨٩ من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة .

٤ ــ الاهتمام الجدى بحساب التكاليف تجنبا لما يحدث من ضياع وزيادة فى التكلفة الانتاجية بغير مبرر(١) .

لكن الاسلام حين يدعو الانسان لأن يسعى ويكد ويشقى فى سعيه يحفزه الى ذلك بالحوافز التى تتفق ومنهجه الأخلاقى ودعوته التى تحكم الصلة بين العبد وربه .

ويبدأ الاسلام دعوته ببيان شرف العمل وما فيه من خير ولذة من لذات الحياة فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » .

هل جربت يا أخى طعم الراحة بعد التعب والشبع بعد الجوع والنوم بعد السهر ؟

ان الذى يعيش فى فراغ وراحة اذا ذهب الى فراشه لا ينام بل يتقلب على جمرات من النار بينما هذا العامل المتعب ينام ويستغرق فى النوم وتشعر كل عضلة فى جسده بلذة الراحة فيقدر نعمة النوم ..

وان اللقمة التى تأكلها بعد جوع مهما كان نوعها أو قلة غذائها أو رخص ثمنها لهى أشهى وأحلى لقمة تدخل جوفك .. وان صائم رمضان ليدرك هذا المعنى عند افطاره ويدرك ادراكا واعيا حقيقة معنى الحديث الشريف الذى يحضنا على العمل لنعرف ونتذوق أنعم الله ونقدرها .

ويقول الله عز وجل مخاطبا آدم عليه السلام عندما أهبطه الى الأرض : « **أن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى** »(٢) وهذا وعد من الله وعلى الدولة المسلمة أن تقوم على تنفيذه فتضمن الضرورات الأساسية لحياة الانسان المسلم من مأكل وملبس ومسكن حتى يمضى حياته مطمئنا آمنا .

واذا قال القرآن الكريم : « **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون** »(٣) فانه يقرر سنة من سنن الكون الثابتة فى الحياة والتى عجزت كل النظم الوضعية عن تغييرها . فالكل مسخر للكل .. العامل مسخر للمهندس

---

(١) ص ٢٩٠ من المرجع السابق .

(٢) طه : ١١٨ (٣) الزخرف : ٣٢

وصاحب العمل والمهندس مسخر ن للعامل وصاحب العمل مسخر لهما يدبر لهما الأموال واحتياجات العمل ورئيس الدولة مسخر لرعيته يخدمهم ويسعى لرفاهيتهم ولولا هذا التسخير لما دارت عجلة الحياة .

والذى خلق الحياة وأراد لها البقاء لم يخلق الناس نسخا مكررة بل هناك كفاءات واستعدادات متفاوتة .. هناك ذو الذكاء أو صاحب الصوت الجميل أو القدرة على العمل اليدوى .. الخ .

ومن هذا التفاوت فى الاستعداد تتفاوت النسب فى الرزق وقد تختلف هذه النسب من مجتمع الى مجتمع آخر لكنها موجودة فى كل مكان حتى أن بعض المجتمعات الاشتراكية تصل النسبة فيها بين أكبر مرتب وأصغر مرتب الى خمسة وثلاثين ضعفا . لأن هذه المجتمعات لم تستطع أن تساوى بين العامل والمهندس ولا بين الجندى والقائد فأعطت كلا حسب مسئوليته وحسب اجتهاده .

وذلك كله شأن الرزق والمعاش فى الدنيا وهى قيم ضئيلة جد ضئيلة عند الله .. **«ورحمة ربك خير مما يجمعون »** .. فهى لمن هو أهل لهـا **ولا علاقة بينها وبين عرض الدنيا ومتاعها الزائل .**

ومع ذلك فالاسلام يضع أجر العامل فى مرتبة من القداسة كبيرة ويتوعد الله من يأكل حق العامل بأشد العذاب فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى عن رب العزة : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره » ..

ويمضى الاسلام فى رعاية العامل وتوفير الحقوق والضمانات له حتى بلغ أقصى المدى فى قوله صلى الله عليه وسلم : « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة فان لم يكن له خادم فليكتسب خادما فان لم يكن له مسكن فليتخذ مسكنا أو ليس له دابة فليتخذ دابة » .. وذلك كان بيت مال المسلمين يعين غير المتزوج على الزواج وفى هذا الحديث ما يشير أيضا الى توفير وسيلة المواصلات الى جانب سبل العيش المعقول الذى ييسر حياة العامل ..

وهناك ما يدعو الى تحديد ساعات العمل أو تقرير الأجر الاضافى

فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تكلفوهم ـــ العمال ـــ من العمل ما لا يطيقون فاذا كلفتموهم فأعينوهم » •

كل هذه الرعاية ليتقن العامل عمله فى رقابة من ضميره ودينه •• يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا عمل أحدكم عملا أحب الله أن يتقنه » •

واذا أتقن عمله فقد تحسن أجره وزاد دخله من عمله الذى هو فريضة على المسلم بعد الفريضة كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم •

« لأن المسلم مكلف بالانفاق على نفسه ثم بالانفاق على أسرته ومن يعولهم ثم بالادخار لأحداث الزمن ثم بالانفاق فى سبيل الله وخدمة المجتمع • فهذه تكاليف أربعة وهى ليست مجرد تكاليف أدبية بل كثيرا ما ترقى الى تكاليف شرعية قابلة للتنفيذ عليه من جانب ولى الأمر •

يقول الشاطبى فى موافقاته فى الجزء الثانى بصدد بيان التكاليف العينية على المسلم :

« انها تكاليف عينية ، فهو مأمور بحفظ دينه اعتقادا وعملا ؛ وبحفظ نفسه قياما بضرورية حياته ، وبحفظ عقله حفظا لمورد الخطاب من ربه اليه ، وبحفظ نسله التفاتا الى بقاء غرضه فى عمارة هذه الدار •• وبحفظ ماله استعانة على اقامة تلك الأوجه الأربعة • ويدل على ذلك أنه لو فرض اختيار العبد خلاف هذه الأمور لحجر عليه وحيل بينه وبين اختياره • فمن هنا سار فيها مسلوب الحظ ، محكوما عليه فى نفسه ؛ وان صار له فيها حظ فمن جهة أخرى تابعة لهذا المقصد الأصلى » •

ازاء هذه التكاليف فرض الاسلام على المسلم الجد فى اختيار خيرات الأرض التى استخلفه الله فيها لتعميرها واستثمار ما فى باطنها وظاهرها وحثه على طلب الرزق وابتغاء المزيد منه ونهى المسلم عن الاستكانة للفقر ما دام فى طاقته أن يتخلص منه ويرتقى الى مراتب الغنى • ولكنه فى نفس الوقت يحذر المسلم من أن يجعل كسب الغنى غاية فى ذاته ، اذ هو مجرد وسيلة الى غاية ، الغاية العليا أو الهدف

المشترك الذى قلنا انه ابتغاء وجه الله وفلاح المسلم فى الدنيا والآخرة »(١) .

يقول تعالى :

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه »(٢) .

« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »(٣) .

« وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم »(٤) .

وقد استعاذ رسول الله من الفقر وقال : « كاد الفقر أن يكون كفرا » كما قال عليه الصلاة والسلام : « اذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب أرزاقكم » .

وهكذا يمضى الاسلام فى هذا الربط الكريم بين الدنيا والآخرة وفى جعل جوافز النفس للعمل أرقى من حوافز المادة لأنها تربطه بالأشواق العليا والتطلعات السامية لما هو خير وأبقى ونلمس هذا الميزان الدقيق الذى ينفثه القرآن الكريم فى وعى المسلم ووجدانه حتى لا تطغى احدى كفتى الميزان على الأخرى وحتى يكون أمره كله لله دائما :

« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »(٥) .

وفى ختام هذا الباب لا يفوتنا أن نذكر عاملا هاما من حوافز العمل يتعلق بواجب فرضه الاسلام على صاحب العمل وولى الأمر يشعر العامل بأن عمله مقدر وأن اجتهاده يلقى الجزاء الأوفى ذلك هو واجب توسيد العمل للرجل الذى يجيده أو بلغة العصر « أن يكون المكان المناسب للرجل المناسب » .

---

(١)ص ٢٩٩ من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية من بحث الدكتور عبد الله العربى .

(٢) الملك : ١٥ (٣) البقرة : ١٩٨

(٤) الاسراء : ١٢ (٥) الجمعة : ٩ ، ١٠

وهو ما تكشف عنه قصة يوسف عليه السلام كما أوردها القرآن الكريم .. فبعد أن ذكر يوسف تأويل رؤيا الملك عن « **سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات** »(١) ثم أشار بما يجب اتخاذه من تدابير لتفادى الكارثة المحتملة وأعوام القحط المقبلة .. رأى الملك أن يعهد اليه بوضع الخطة اللازمة للأمر والاشراف على تنفيذها : « **وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين** »(٢) .

فلما قبل يوسف المهمة « **قال اجعلنى على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليم** »(٣) .

لقد أدرك يوسف خطورة المسئولية الملقاة على عاتقه وهى تجنيب البلاد مخاطر المجاعة فطالب بتمكينه من أداء هذه المهمة الخطيرة واطلاق يده فى التدبير « **اجعلنى على خزائن الأرض** » .. وهو ما يجب أن يكون فى علاقة العامل برب العمل ..

ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عدم اختيار الأكفأ هو خيانة لأمانة المسلمين وغش للأمة فيقول : « من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » ..

بل انه جعل ذلك من أشراط الساعة عندما سأله رجل : متى تقوم الساعة ؟ فقال : « اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » ، فقال الرجل : وكيف اضاعتها ؟ قال : « اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة » .

* * *

---

(١) يوسف : ٤٣ ، ٤٦ (٢) يوسف : ٥٤

(٣) يوسف : ٥٥

شروط العقـــد

لقد كان الاسلام نقطة تحول خطيرة فى تاريخ البشرية بما حمل اليها من مبادىء جديدة كل الجدة بل بما أحدث من ثورة كبرى فى تصور الناس للقيـــم والمبادىء الانســـانية • جاء الاسلام ونظام الرق معترف به فى العـــالم كله كما كان الرق أساس الاقتصـــاد فى هذه الدنيا •• فالاغريق أباحوا الرق والامبراطورية الرومانية بنيت على الرق •• وكان السيد يشترى الأرض بمن عليها من عبيد والعبيد هم القوة العاملة فى معظم الدول والسادة عليهم الحرب والدفاع عن الدولة •• والسادة هم المهيمنون على مصائر الناس جميعا لهم التوجيه وعلى الناس الطاعة دون فهم أو مناقشة أو حتى حق السؤال •

وظلت أوروبا ترزح تحت نظام الاقطاع حتى العصر الوسيط وعندما اكتشفت أمريكا لم تستغل اقتصاديا الا بملايين العبيد الذين جلبتهم العصابات البيضاء من افريقيا السوداء وظل نظام العبيد بها الى ما بعد عام ١٨٦٠ عندما حاربت الولايات الشمالية من الولايات المتحدة بزعامة ابراهام لنكولن ولايات الجنوب من أجل الغـــاء الرق فى أمريكا الذى اتخذ بعد ذلك صورا أخرى ما زالت تمارس حتى اليوم •

وفى بلادنا عندما ضعفت روح الاسلام فى النفوس وتراجع الوازع الدينى فى القلوب شاهدنا حتى عهد قريب ألوانا من العبودية تقشعر منها الأبدان مما تحاول الدول الحد منه بتشريعات العمل المختلفة التى تحدد ساعات العمل وأدنى أجوره ، ويتحدد هذا الحد الأدنى للأجور فى كثير من البلاد دون نظر الى حاجات الآدمى الضرورية وما يحفظ عليه كرامته • بينما يروى لنا التاريخ أن رجلا ذهب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يشـــكو عماله لأنهم سرقوا بعض ماله لكن عمر عندما علم أن هؤلاء العمال انما سرقوا لأن صـــاحب المـــال لا يعطيهم الحاجة وما يكفى ضروراتهم صاح بصاحب المـــال : « أيها اللص اذا عاد هؤلاء الى السرقة قطعت يدك أنت » ••

وكان فى مصر ـــ منذ زمن غير بعيد ـــ قانون يبيح استخدام العامل بدون أجر تحت الاختبار لمدة ستة أشهر وأعلم أن صاحب ملايين كثيرة

أنشأ المصانع وضخم ثروته أضعافا مضاعفة بفضل هذا القانون وأصبح مصنعه الصغير للنسيج بالقاهرة عدة مصانع للغزل والنسيج بالقاهرة والاسكندرية •

لقد كان هذا اللص يستخدم العامل بدون أجر لمدة خمسة اشهر أو ستة أشهر الا بضعة أيام ثم يفصله من العمل بحجة أنه غير صالح مستحلا عرقه ودمه (١) •

وكانت الحكومة اذا أصدرت قانونا ليسكن من ثورة هذه النفوس البشرية كأن تجعل للعامل حقا بعد كذا من السنين فى مكافأة أو معاش تسارع بعض الشركات الفاجرة الى طرد عمالها القدامى حتى لا ينالوا حقهم وحتى يذلهم الجوع ثم يتفضل أصحاب الشركات بعد ذلك باعادة من يشاءون منهم بصفتهم عمالا جددا •• أى بعد أن يغتصبوا حقهم الذى قرره لهم القانون ••

أما النقابات •• فكم من النقابات شكلت مجالس ادارتها بانتخاب الأعضـــاء الذين رشحتهم الادارة أو رشحهم صاحب العمل فأصبحت النقابة التى فرض فيها الدفاع عن حق العامل مطية لصاحب المـــال وحربا على العامل المسكين •

لكن الاسلام الذى نزل رحمة للعالمين بدأ منهاجه فى العمل باجتثاث تلك القواعد التى تقر التمييز الطبقى بين الناس على غير أسس من عمل صالح فنرى القرآن الكريم يعتب على الرسول صلى الله عليه وسلم أشد العتب لاعراضه عن فقير أعمى جاءه يستشيره فى أمر دينه لانشغاله بدعوة بعض سادة قريش الى الاسلام •• فيقول الحق تبارك وتعالى :

« عبس وتولى • أن جاءه الأعمى • وما يدريك لعله يزكى • أو يذكر فتنفعه الذكرى • أما من استغنى • فأنت له تصدى • وما عليك ألا يزكى • وأما من جاءك يسعى • وهو يخشى • فأنت عنه تلهى • كلا انها تذكرة »(٢) ••

وهكذا يرسم القرآن فى قوة الخطوط الجديدة للقيم الانسانية ••

---

(١) من كتاب نظرية الاسلام الاقتصادية للمؤلف •

(٢) عبس : ١ ــ ١١

فليس الأمر أمر غنى المـــال أو عزة الجاه أو العصبية .. كلا .. ان الله يريد الذين يبتغون وجهه ويلتمسون الراحة عنده « والتائهين الذين يبحثون عن مرفأ والخائفين الذين يبحثون عن مأمن والمستضعفين الذين يبحثون عن ملاذ والبسطاء الكادحين المـــائين حياتهم بالعمل والعناء .. أولئك الذين من أجلهم رفعت راية الله فى الأرض لتظلهم تحتها ولتعلن قيام عالمهم وبعث أيامهم وزحف صفوفهم .. »(١) .

« وما يدريك لعله يزكى » .

أجل .. لعله أقرب الى الله من كل عتل متكبر أو غنى مستعل .. ولم لا ؟ ألم يتقدم هذا المجتمع الفاضل بلال وصهيب وخباب واخوانهم البسطاء والفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حققوا معجزة القرآن وأخرجوا للعالم خير أمة شهدتها الأرض ؟

وهم أنفسهم الذين كان يجلس محمد صلى الله عليه وسلم ليشاورهم فى الأمر وفيهم العبد والعامل الفقير « لأن النوع الانسانى لم يوجد لتنشطر صفوفه الى أغنياء وفقراء .. ولا الى سادة وعبيد .. ولا الى أقوياء وعجزة .. ولا الى رعاة وسوائم .. انما وجد ليتحرك صفا واحدا داخل خطوط متكافئة من القدرة والسيادة والكفاية » .

أما التفضيل الذى ذكره الاسلام فليس بما يملك الانسان من مال بل بالعمل الدائم فى صدق وشوق لتحقيق الخير والكمال وعلى قدر نصيب كل فرد فى هذا العمل الجامع والسعى المشترك يكون قدره فى المجتمع ومكانته لدى العليم الخبير القائل : « فمن يعمل **مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** »(٢) .

وهكذا يحتم الاسلام على المسلمين أن يحققوا كفايتهم من كل أنواع العمل وقد تحقق ذلك فى مرحلة من مراحل حكم الاسلام فساد المسلمون وكان أرقى مستويات العلم والفنون فى العالم الاسلامى وصار العالم كله عالة على جامعات المسلمين يلتمسون لديهم نور العلم والمعرفة وهو ما يجب أن نسارع اليوم لاستكماله كما أمر بذلك الدين الذى جعل

---

(١) « كما تحدث القرآن » لخالد محمد خالد ص ٥٨

(٢) الزلزلة : ٧ ، ٨

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » وطالبنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالتماس العلم فى كل مكان « ولو بالصين » أى ولو بأقصى الأرض •

والاسلام فى ذلك لا يألوا جهدا فى تشجيع أفراده على العمل وبذل الجهد لتحقيق الرفعة للمسلمين ولذلك كان من أهم ما عنى به فى باب العمل هو تنظيم العلاقة بين العامل وصاحب العمل على أسس سامية ودقيقة تحفظ لكل ذى حق حقه وتمنح العامل فرصته للتجويد والاتقان فى ظل الضمانات التى كفلها له الاسلام ليعيش فى أمن وسلام •

ولما كان تعريف العمل أنه « بيع منفعة » هو نفس تعريف الاجارة شرعا كما قدمنا فانه يلزم لذلك أن يتضمن عقد العمل الاسلامى :

١ ــ صيغة الايجاب والقبول من طرفى العقد •

٢ ــ تحديد الأجر •• يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من استأجر أجيرا فليسم له أجره » لأن ذلك أدعى لطمأنينة العامل ولانتفاء الغرر وأسباب النزاع •

٣ ــ المنفعة وهى محل العقد والمقصود بها فى عقد العمل نوع العمل أو ماهية العمل الذى سيقوم به العامل •

٤ ــ وفى حالة الأجير الخاص ــ كأن يستأجر شخص كاتبا لأعماله أو محاسبا أو طبيبا للعناية بصحته ــ أو كان عمل الأجير غير محدد كمن يقومون بمختلف الأعمال التى توكل اليهم من حراسة أو نقل فيجب أن يكون العقد فى هذه الحالة من عقود المدة ويستحق العامل الأجر سواء عمل أو لم يعمل(١) •

٥ ــ يأخذ الاسلام بمبدأ أجر المثل وهو الأجر الذى يقدره أهل الخبرة وذلك درءا للمظالم •

٦ ــ كفاية الأجر : والاسلام حريص على تحقيق هذا الشرط بكافة السبل لما فيه من نفع للعامل فى دينه ودنياه ونفع للأمة كلها •

ولايضاح ذلك نبدأ بذكر ما يقرره رجال الاقتصاد الحديث الذين يقولون بأن : « السوق المحلية هى أضمن الأسواق » •• لكن كيف نضمن أن تقوم هذه السوق بوظيفتها كأكبر عميل لانتاج الدولة ؟

---

(١) ص ١٢٩ من الجزء الثانى من صحيح البخارى المفسر •

لا شك فى أن الطبقة العاملة فى أى مجتمع بشرى تمثل الأغلبية الساحقة من هذا المجتمع سواء أكانت هذه الطبقة من عمال المصانع أو عمال المزارع أو من الطائفتين معا •• والعمال بهذه الكثرة يمثلون القوة الشرائية التى يوجه اليها الانتاج فى الدولة •

وفى ظل الرأسمالية يكون العمال أجراء لرأس المال ويحرص أصحاب المال على ابقاء مستويات الأجور عند الحد الذى يكفل بقاء العامل قائما بواجباته ولا تصل الأجور الى أى مستوى يؤثر فى الفواصل بين طبقات المجتمع •

ونحن جميعا نلمس فشل النظام الرأسمالى فى تحقيق عدالة التوزيع فى الدخول التى ترفع القوة الشرائية لدى أغلبية الشعب كما فشلت أيضا فى رفع نير البطالة عن المجتمع •

ويقول اللورد كينز فى كتابه « النظرية العامة » :

« ان أهم الأخطاء البارزة فى اقتصادنا المعاصر اثنان هما : أولا : الفشل فى تحقيق العمالة الكاملة • وثانيا : التوزيع الحكمى الغاشم لكل من الثروة والدخل على نحو لا يحقق العدالة ••

وقد شهدت انجلترا تقدما هائلا فى نظم الضرائب من حيث عدالة توزيع أعبائها على كل من الدخل والثروة كما استحدثت من الضرائب على الايرادات والتركات ما كان جديرا به أن يقرب بعض الناس من بعض •• لكن هذا لم يحدث بالقدر الكافى »(١) •

ويرى اللورد كينز بعد ما عرض المشكلة أن الحل الأمثل لتحقيق العمالة الكاملة هو تخفيض سعر الفائدة على النقود لتشجيع الاستثمار الذى تستتبعه زيادة فى فرص العمل وهو الأمر الذى لم يتحقق حتى الآن بل العكس هو الصحيح اذ أن العالم يشاهد فى هذه الأيام — عام ١٩٧٧ — ارتفاعا متواصلا فى سعر الفائدة •

أما فى ظل الشيوعية فالأجير هو الأجير بفارق أنه فى ظل الشيوعية أو أنماط الاشتراكية المختلفة يستبدل بسيادة المول سيادة الدولة ولم

---

(١) ص ١٥٩ من بحث الدكتور عيسى عبده ضمن كتاب مختارات الاذاعة المصرية لسنة ١٩٦١ •

يتحسن وضع الأجير فى ظل العقود الجماعية عنه فى ظل عقود العمل الفردية .

بينما يرى الاسلام أن حل هذه المشكلة وتحقيق سعة السوق المحلية هو فى التقريب بين الناس — الذى تمنى لورد كينز أن يراه حقيقة فى حياته دون جدوى — .. وهو ما يحقق رفع دخول الأفراد وبالتالى مستوى معيشتهم فيزيد استهلاكهم وبالتالى يزيد الانتاج ويتحقق الانتعاش الاقتصادى وفرص العمل لجميع .

وسبيل الاسلام الى ذلك ذو ثلاث شعب :

الأولى : قانون المواريث — لا ضريبة التركات — الذى يعمل على تفتيت الثروات وتوزيع المتكدس منها على أعداد متزايدة من العباد .

الثانية : زكاة المال وهى ٢ر٥ ٪ من رأسمال التجارة أو المدخرات و ٥ ٪ من ناتج الزراعة ذات التكلفة أو ١٠ ٪ من ناتج الزراعة المطرية و ٢٠ ٪ مما تخرج الأرض من المعادن وغير ذلك من صنوف الزكوات المفصلة فى كتب الفقه والتى يرى الاسلام أن توزع على المستحقين فى نفس موطن تحصيلها ليتحقق التكافل الاجتماعى بين أهل القرية مثلا وتتحقق المودة بين الناس .

وأول مصارف الزكاة هم الفقراء والمساكين لينالوا حظهم من طيبات الحياة .

الثالثة : قداسة أجر العامل حتى ليقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره »(١) .

وهذا الأجر الذى يقدسه الاســـلام ليس ما يجود به صاحب العمل أيا كان بل حدد له الاسلام حدودا ورسم له قواعد أدناها أن يكفل حاجات الحياة الضرورية للعامل من مأكل وملبس ومسكن .

والاسلام فى ذلك يقرر أن المعطى اذا أعطى فهو يعطى من مال الله والآخذ انما يأخذ من فضل الله .. يقول تعالى : « **والأرض مددناهـــا**

---

(١) رواه البخارى .

وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيـــج • تبصرة وذكرى لكل عبد منيب • ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد • والنخل باسقات لها طلع نضيد • رزقا للعباد ، وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج »(١) •

لأن الاسلام يحارب الفقر الذى يمتهن كرامة الانســـان ويزرع الحقد فى القلوب ويوهن العلاقات بين الناس بل ويزعزع الايمان فى النفوس •

ويحدثنا الأستاذ عبد المنعم خلاف عن ذلك فى كتابه « المـادية الاسلامية وأبعادهـــا » فيقول :

« والذين يريدون أن يأخذوا جماهير الناس بيسر وسهولة الى الايمان الفطرى بالله الخالق ورحمته وعدله لا يستطيعون أن يحققوا ذلك كما ينبغى ما دام عذاب تلك الجماهير بالفقر والحرمان مسيطرا على النفوس لأن الله الخالق انما دعا الناس اليه وعرفهم بذاته من طريق التذكير بنعمه وأفضاله عليهم وامتاعه لهم وصنعه فى الطبيعة من أجلهم •• وقد أدام تذكيرهم بآلائه التى لا حدود لها ورحمته الغامرة التى يتجلى بوضوح أن بناء الكون كله قائم عليـــها •• وجعل عبادته والايمان به عن طريق تذكر هذه النعم وشكرها كما قـــال القرآن : **« فليعبدوا رب هـــذا البيت • الذى أطعمهم من جـــوع وآمنهم من خوف »(٢)** و **« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون • الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم »(٣) •**

وواضح أن توجيه القرآن خطابه للناس جميعا حينما يذكرهم بنعم الله الأساسية قاطع فى الدلالة على أن هذه النعم لا تخص فردا أو جماعة أو أمة محدودة منهم بل هى عامة مشاعة لهم جميعا ، فيجب ألا يستأثر بها ويحتكرها فريق منهم لنفسه ويحرم الآخرين فيكون ظالمـــا طاغيا مبدلا للأوضاع العادلة التى أرادها الله للناس جميعا •• كما يجب ألا

---

(١) سورة ق : ٧ ــ ١١ (٢) قريش : ٣ ، ٤

(٣) البقرة : ٢١ ، ٢٢

يرضى ويستسلم الفريق المظلوم المنهوب دون أن يكافح عن حقوقه الأساسية ونصيبه فى هذه النعم .. والا وقع تحت مسئولية تضييع نفسه وتفريط فى حقه ، لأن القرآن لا يعفى المستضعفين الذين قبلوا الظلم من مسئولية عدم المقاومة للظالمين ولو بالهجرة من أرضهم على الأقل ان لم يستطيعوا المقاومة الايجابية « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا** »(١) .

وأعتقد أن أشد ما يبطىء بالناس عن الدخول فى رحاب الايمان الفطرى العارف بالله حق معرفته ، ويعرضهم للفتنة فى الدين والحياة هو عذابهم بالحرمان من نعم الله وأفضاله التى جعلها لهم جميعا وعممها بعدله ، ولكن الطغاة والأنانيين حجزوها لأنفسهم ومنعوها عن غيرهم فظن الممنوعون المحرومون أن الله هو الذى أراد حرمانهم واهانتهم واكرام الأغنياء والمانعين .

وهذا غير صحيح وغير معقول ، وقد بين القرآن هذه القضية بوضوح لا أدرى كيف فات المفسرين للقرآن أن يروه ويوجهوا المسلمين اليه ليصححوا أوضاع حياتهم الاعتقادية والاجتماعية والاقتصادية على مقتضاه ؟ وذلك فى قوله من سورة الفجر : « **فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن . وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن . كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما** »(٢) .

وواضح من هذه الآيات أنها ترد على أوهام الناس فى أسباب الغنى والفقر وتبين لهم أن المسألة ليست مسألة اكرام من الله للغنى أو اهانة منه للفقير وانما ترجع أسباب هذه المفارقات فى أحوال الناس بين الغنى والفقر الى قسوة بعضهم على بعض والى اخلالهم بالأوضاع الطبيعية التى وضعها الله ، لأنه خلق لهم ما فى الأرض جميعا وأراد الكرامة لهم جميعا وأمرهم أن يتراحموا ويتعاونوا ويتكافلوا .. ولكن الظلمة الأقوياء

---

(١) النساء : ٩٧ (٢) الفجر : ١٥ ـ ٢٠

أخلوا بهذه الأوضـــاع التى وضعها الله ؛ فخصوا أنفسهم بما استطاعوا الحصول عليه بقوتهم وظلمهم من نعم الله ومنعوا تلك النعم والاكرامات عن الأيتام والضعفاء والمساكين وأمثـــالهم الذين لا يستطيعون نيل حقوقهم أو الدفاع عنها أو العمل لكسب رزقهم أو القدرة على كفاية أنفسهم . ولم يتواص الناس ويتحاضوا على تنفيذ أمر الله بأداء حقوق أولئك الضعفاء والمساكين فى ماله الذى استخلفهم فيه بل تكالبوا وتذاءبوا وافترسوا أولئك الأيتام والمساكين والضعفاء وكانوا سببا فى حرمانهم من نعم الله وأرزاقه • وفى شعورهم بالمهانة وتوهمهم أن الله يريد لهم الهوان بالحرمان ، وقد أكل الضغاة « التراث » الطبيعى الذى جعله الله رزقا وكرامة للناس جميعا « أكلا لمـــا » ابتلعوا فيه حق غيرهم وأحبوا المال حبا شديدا مفرطا وجمعوه حلالا وحراما •• ثم تناسى الناس أن هذه المفارقات هى من صنع أيديهم وجناية أنانيتهم وجشعهم وقسوتهم ، ولا دخل فيها كما يتوهمون لارادة الله اكرام الغنى بغناه الذى يجعله برحمته وحكمته وسيلة لاختبار شكره ؛ ولا لارادة الله اهانة الفقير بفقره الذى يجعله كذلك وسيلة لاختبار صبره •

وكأن القرآن يقول للناس فى هذه الآيات : لم يرد الله تكريم الغنى بغناه ولا اهانة الفقير بفقره ولكنكم أنتم الذين لم تكرموا الضعفاء منكم والعاجزين والفقراء وأهنتموهم وأسرفتم فى حب المـــال وحجزه لأنفسكم وحدها . ولو أنكم جعلتم كل واحد منكم ينال من مال الله ورزقه الذى جعله لكم جميعا ما يسد حاجته لم يقل بعضكم ان الله أكرمنى وبعضكم أن الله أهاننى ، لأن الجميع حينئذ يكونون فى درجة واحدة من الشعور بتكريم الله وعدله ورحمته وكفالته •

وقد اعتبر القرآن الطغيان بالمـــال والاسراف فى اهلاكه والغرور به وحبسه عن الانفاق لتحرير المحرومين من الحرية ولاكرام الضـــعفاء والأيتام والمساكين الذين أصابتهم المسغبة وآلام الجوع والحرمان •• اعتبر ذلك هو العقبة الكؤود التى يشق على الانســـان اجتيازها واقتحامها فى طريقه الى رضا الله والى البعد عن المكابدة والتعب فى السعى الى نيل الحقوق الطبيعية والنزاع عليها •• تلك العقبة التى تفسد الحياة وتدمرها بشؤمها المهلك الذى لا ينجى منه الا العمل الصالح من أجل الجميع والتواصى بالصبر عليه وبتعميم الرحمة والعدالة على الجميع : **«وما أدراك**

ما العقبة • فك رقبة • أو اطعام فى يوم ذى مسغبة • يتيما ذا مقربة • أو مسكينا ذا متربة • ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة • أولئك أصحاب الميمنة »(١) ••

اذن فاقتحام عقبة الحياة وتجنب شؤمها يكون فى رأى القرآن الواضح فى هذه الآيات باشاعة المرحمة وبتحرير رقاب الناس من أنواع العبودية والاذلال وبتأمين لقمة العيش وأساسيات الحيـاة للضعفاء والعجزة والقاصرين عن السعى لرزقهم ، وبانتقاء الغرور بالمـال والاسراف فى اهلاكه وانفاقه ، فلا يطغى به متبجحا مفتخرا فـ **« يقول أهلكت مالا لبدا »(٢)** • ولا يتغاضى فى الاسراف فيه واهلاكه عن نظرات الفقراء وحسدهم وحسراتهم وحقدهم ، وعن تفتح عيونهم وتطلعهم الى نعم الله التى حجزها المسرف لنفسه ، بل يجب أن يتذكر دائما أن الله جعل للفقراء عيونا ترقب فى حسرة حقهـا فى هذا المـال • وألسنة وأدوات لنقد والحسد والقيل والقال والسخط الذى يصيبهم به الحرمان ، وبصيب الحياة الاجتماعية بالشؤم والدمار كما جعل للغنى المسرف تلك الأدوات : **« ولسانا وشفتين • وهديناه النجدين •• »(٣)** •

لكن الاسلام لم يقتصر على الحديث الى ضمائر الأغنياء واستثارة وجدانهم بل نظم الأمر تنظيما ايجابيا فهو الى جانب ما قرره من حق للفقراء فى أموال الأغنياء ــ الزكاة والصدقات ــ نظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل بما يكفل للعامل حقوقه وكرامته •

فالاسلام يقرر ألا عمل بلا أجر •• فيقول تعالى :

« حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا »(٤) •

« قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا »(٥) •

---

(١) البلد : ١٢ ــ ١٨ (٢) البلد : ٦

(٣) المـادية الاسلامية وأبعادها ــ للأستاذ عبد المنعم خلاف ص ٢٨ ــ ٣٢ والآية من سورة البلد : ٩ ، ١٠

(٤) الكهف : ٧٧ (٥) القصص : ٢٥

« قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين »(١) .

« أنا لا نضيع أجر من أحسن عملا »(٢) .

ففى هذه الآيات يعلن الاسلام فى غير لبس ولا غموض أنه لا عمل بغير أجر . وهذا بطبيعة الحال يستنكر بل ويحرم السخرة التى عرفتها ومارستها شعوب كثيرة على مر التاريخ . ومن ذلك ما كان سائدا فى أوروبا خلال العصور الوسطى التى سادها نظام الاقطاع .

ومن هذا المنطلق كان استنكار الاسلام للرق الذى يمثل أفظع أنواع السخرة مما يهبط بالانسان الى مرتبة السائمة أو الآلة .. فعمل على سد منابع الرق وشجع على تحرير الانسان .

أما الأجر الذى يقرر الاسلام أنه أحد أركان عقد العمل فهو ما يكفل المأكل والملبس والمسكن كما ذكرنا .. والعمال من حيث الأجور طائفتان :

الأولى : تلك التى تعمل لجميع الناس بالقطعة أو بالساعة ومن بين هذه الطائفة أناس يعملون فى حرف جرى فى تحديد أجورها العرف أو العادة كحرفة قص الشعر فلا ضرورة فيها لتعيين الأجر طالما أن العرف قد جرى فيها مجرى العقد والاتفاق .

أما اذا كانت البيئة متأثرة بعوامل الجور والظلم التى تتحدى العرف فلابد من أن يتمسك العامل بحقه فى تسمية الأجر كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « من استأجر أجيرا فليسم له أجرته » .

أما الثانية : فهى طائفة العمال الذين يعملون لصاحب العمل سواء فى بيته أو أرضه أو مصنعه أو متجره وتنقسم هذه الطائفة الى قسمين :

القسم الأول : يقيم فى بيت صاحب العمل كالخادم وقد شرع لهم الاسلام أكرم تشريع رفعهم الى مرتبة الاخوة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخوانكم خولكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق فاذا كلفتموهم فأعينوهم » .

---

(١) الشعراء : ٤١ (٢) الكهف : ٣٠

ومن هذا الحديث نعلم :

أولا : أن للعمل كرامة لا ينقص من شأنها أن العامل لا يملك المال .. كيف وقد رفعه الله بالعمل الى مرتبة صاحب العمـــل فأمره أن يكون أخا له .. بل ان العمل فى البيت يرفع العامل الى المكانة التى يستطيع فيها أن يصهر الى صاحب البيت بل صاحب البيت نفسه هو الذى عرض ابنته كما جاء فى القرآن الكريم على لسان شعيب النبى وهو يخاطب موسى عليهما السـلام : « **انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج** »(١) بل ويزيد فى استعطاف « **فان أتممت عشرا فمن عندك** »(١) .

ثانيا : أن الحد الأدنى للأجور هو كفاية المأكل والملبس والمسكن .

ثالثا : أن هذا الحد الأدنى يقرر وفق البيئة التى يعيش فيها العامل أى مساويا لمـــأكل وملبس صاحب العمل وسائر أفراد أسرته لا من سقط متاعهم « فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس » .

رابعا : الحديث لم يتعرض لمـــا فوق الحد الأدنى بل ترك الفرصة للعامل وظروف عمله وفى قصة موسى عليه السلام روى أن النبى صلى الله عليه وسلم عندما قرأها قال : « أجر نفسه والله على عفة فرجه وطعام بطنه » .. أى أنه آجر نفسه بطعمه وكسوته وسكنه ومهر ابنة سيد الدار . وقد راعى صحابة رسول الله تطبيق هذه المبادىء بكل دقة وتحروا مرضاة الله ورسوله فى حياتهم فكان أبو ذر الغفارى لا يشترى لنفسه ثوبا الا ويشترى لخادمه أو عبده ثوبا مثله من نفس النوع واللون .

القسم الثانى : الذى لا يقيم مع صاحب العمل كعمال المصانع والمتاجر والمزارع وغيرها .. وهنا يتحدد الحد الأدنى لأجر العامل لا ببيئة صاحب العمل ومستوى معيشته فى بيته لأن العامل لا يساكنه فى بيته .. بل ببيئة اخوانه من أهل حرفته ولا يقل عن كفاية المأكل والملبس والمسكن فى المستوى المقرر عرفا لأصحابه .

بل ان الاسلام ذهب الى أبعد من هذا فى تقدير الأجر عندما قرر

---

(١) القصص : ٢٧

حق العامل فى أن تكون له أسرة وأن يكون له خادم فلقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة فان لم يكن له خادم فليكتسب خادمـا فان لم يكن له مسكن فليتخذ مسكنا » .

وفى رواية ابن حنبل « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا أو ليست له زوجة فليتزوج أو ليس له خادم فليتخذ له خادما أو ليس له دابة فليتخذ دابة » .

وهذه الرواية الأخيرة تحتم على صاحب العمل أن يكفل وسيلة المواصلات للعامل عنده لا للعمل فقط بل لقضاء حوائجه الأخرى لأن الدابة ستكون ملكا له أو يعطيه من الأجر ما يكفل له تغطية نفقات انتقاله وهو ما يسمى بلغة العصر (بدل الانتقال) .. ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق « فاذا كلفتموهم فأعينوهم » ..

وهذا الجزء الأخير من حديث رسول الله يضع مبدأ هاما فى العمل .. هو ألا يكون العمل فوق طاقة العامل .. أى لا يستنزف قوته وحيويته .. لأن هذا الذى يستنزف دماء العامل مستغلا حاجته الى القوت انما هو لص قاتل سفاك يقضى على حياة العامل فى بطء ويستنزف دماءه قطرة قطرة .

لكن الاسلام لا يرضى بهذا الاستغلال فيأمر أتباعه بعدم ارهاق العامل أو بعبارة العصر « بتحديد ساعات العمل » .. « فاذا كلفتموهم فأعينوهم » .. وهذه الاعانة تكون بالأجر الاضافى أو الجزاء الذى ترضى عنه نفس العامل . واذا كانت المعونة بالمشاركة فى العمل فلا شك أن الاسلام أراد أن يذيق صاحب العمل بعض ما يلقاه العامل من مشقة وعناء ليتقى الله ويعطى العامل حقه من الراحة ونصيبه العادل من الحياة .. لأن الاسلام يريد أن يخفف عن عباده ولا يجعلهم عبيدا لمطالب الحياة المادية بل لابد أن يجد المسلم ساعة يفرغ فيها الى ربه ويستروح أنسام القرب منه ولذة المناجاة وحلاوة الطاعة لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما خففت عن خادمك فهو أجر لك يوم القيامة » وكأنى بالرسول الحبيب يخاطب أصحاب الأعمال فى عصرنا الحالى بعد أربعة عشر قرنا من مبعثه .

ولأن من المعروف حديثا أن زيادة ساعات العمل لا تؤدى فى معظم الأحيان الى زيادة الانتاج لأن العامل المرهق جسديا لن يتقن عمله وكلما زاد وقت العمل كلما ازداد العامل ارهاقا وسنة الله فى عباده أن يخفف عنهم وييسر لهم « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** »(١) .. فالذين يرهقهم الصوم لكبر أو مرض أو سفر شاق مرهق يعفون منه « **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** »(٢) .. والاسلام قد أنذر الناس اذا أرهقوا أنفسهم بالدين أن يصرعهم الدين .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يشاد الدين رجل الا غلبه » ..

فاذا كان الاسلام ينهى عن ارهاق النفس بالعبادة فهل يجيز ارهاقها بالعمل الدنيوى .. ؟ ألا ان صاحب العمل راع فى عمله وكل راع مسئول عن رعيته والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « شر الرعاة الحطمة » الذين يزيدون وقت العمل فيحطمون عمالهم بما يعييهم من ضعف وارهاق »(٣) .

والاسلام يحمى أجر العامل من تباطؤ أصحاب العمل ومماطلتهم ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .. فهذا الحديث يقتضى من غير شك الاسراع فى دفع الأجر ، وينهى عن المماطلة والتسويف فيه ، ويوصى الفقهاء أن يكون دفع الأجور فى أيام العمل لا فى يوم الراحة ، وفى مكان العمل أو مقر ادارته ، لأن دفعها فى يوم الراحة أو فى غير مكان العمل يكون بعد جفاف العرق لا قبله كما أراد الرسول .

وهكذا نجد أن الاسلام ينظم حوافز الانتاج فى حقل العمل بما يوفره للعامل من راحة نفسية وبدنية تتمثل فى الأجر الذى يكفل حاجياته والعمل الذى لا يرهقه ويسهل أسباب السعادة الدنيوية ويعمل على صيانة المجتمع بتزويج من لا يستطيعون مئونة الزواج ولو كان ذلك من بيت مال المسلمين لأن راحة العامل توفر خيرا كثيرا للجماعة الاسلامية .

وانه ليبهرنا ما نراه من تعمق الاسلام لأدق مشاكل العمال حتى

---

(١) البقرة : ١٨٥ (٢) البقرة : ١٨٤

(٣) نظم العمل فى الاسلام لجمال الدين عياد ص ٣٧ .

ليقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اياكم والقسامة .. ! قيل : وما القسامة ؟ قال : الرجل يكون على طائفة من الناس فيأخذ من حظ هذا وحظ هذا » .. أليس فى هذا التشريع حماية لعمال التراحيل من جشع مقاولى الأنفار الذين يقاسمونهم لقمة العيش وضمانة جديدة يضيفها الاسلام الى ما وضع من ضمانات لأجر العامل الذى يبلغ به مرتبة القداسة ؟!

٧ ــ عدم سقوط الأجر : ويرى فقهاء المسلمين أن أجر العامل لا يسقط لفساد العقد حتى قبل اتمام العمل وسواء أكان هذا العقد عقد اجارة أو عقد شركة من الشركات بمختلف أنواعها .. « وللعامل ــ كما يرى البعض حبس العين بعد الفراغ من العمل حتى يقبض الأجرة دون حاجة الى حكم حاكم . ذلك لأن العمل ــ كما يقول ابن القيم ــ يجرى مجرى الأعيان ولهذا يقابل بالعوض فصار العامل كأنه شريك لمالك العين بعمله فأثر عمله قائم بالعين فلا يجب عليه تسليمه قبل أن يأخذ عوضه »(١) وهذا يخالف ما تقول به التشريعات الوضعية من سريان التقادم الخمسى على الدوريات أى سقوط حق العامل فى الأجر اذا مضى عليه خمس سنوات .

فانظر الى سمو التشريع الاسلامى والى أى مدى بلغ فى الحرص على صالح العامل .. انه السمو الذى لم يبلغه أى تشريع أرضى .. ! ولا ننسى أن نضيف فى هذا المقام أن الاسلام يقرر علاوة على ذلك ألا يمس الأجر ولا أداة العمل وفاء لضريبة أو خراج كما جاء فى وصية على بن أبى طالب رضى الله عنه لعماله على الخراج وبذلك يضع الاسلام أجر العامل فى مقام الدين الممتاز أى فوق سائر الديون حماية لحق العامل وعرقه .

٨ ــ تأمين العامل :

ونقصد بذلك رعايته صحيا من أمراض المهنة كسوء التهوية فى المناجم والرطوبة فى مصانع الغزل وهذا واجب على صاحب العمل بحكم الرعاية التى فرضها الاسلام عليه حيث يقول الرسول : « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » .. واعمالا للقاعدة الشرعية السامية

---

(١) كتاب شريعة الاسلام فى العمل لجمال الدين عياد ص ١٠٧ .

التى تهيمن على كثير من التشريعات والتى تضمنها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » والتى تلزم كل مسلم بأن يمتنع عن الاضرار بالغير وبأن يعمل على دفع الضرر .

وتمتد هذه الرعاية الى الشيخوخة أو العجز عن العمل ويفرض الاسلام هنا الاعالة على بيت مال المسلمين ولا يفرق فى ذلك بين المسلم وغير المسلم لأن عمر قد فرض ليهودى شيخ يتسول معاشا من بيت مال المسلمين وأمر بوضع الجزية عنه هو وأضرابه . ويقول خالد بن الوليد: أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الاسلام » .

والأصل فى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك مالا فلورثته ومن ترك كلا فالينا »(١) .

والكل كل عيل والذرية منهم فجعل كفالتهم على ولى الأمر أى بيت مال المسلمين والحديث بهذا المفهوم عام يعم كل من أظلتهم الأمة الاسلامية بمظلة رحمتها وهو ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم كما ذكرنا ، لذلك كان عمر يقرر للأرامل حقهن فى بيت المال مهما تختلف بهن الديار حتى ليقول : « أما لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعهن لا يحتجن لأحد بعدى »(٢) .

٩ ـ الأعمال المحرمة :

فلا يجوز شرعا استئجار العامل ليقوم بما حرم الله من أعمال كالقتل أو السرقة أو عصر الخمر أو خدمة السكارى .. فقد لعن الله حاملها والمحمولة اليه كما جاء بنص الحديث .

وعن أبى مسعود الأنصارى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن » .. والمقصود بثمن الكلب أى كلب ما عدا كلب الصيد أو الحراسة لأن الكلاب الأخرى لا ثمن لها لأنها مال غير متقوم لا تجوز المعاملة عليه .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) كتاب شريعة الاسلام فى العمل لجمال الدين عياد ص ١٢٨ .

ومهر البغى ما يدفع لها وحلوان الكاهن هو ما يدفع للعراف لاستطلاع الغيب فذلك اجارة على معصية وكفر .

١٠ ــ ما يشترط فى العــامل :

قلنا من قبل ان عقد العمل عقد بين طرفين لا يعلو أحدهما على الآخــر لذلك كما وفر الاسلام الضمانات للعامل التى تكفل له حيــاة آمنة مطمئنة وتضمن له حقوقه لدى صاحب العمــل .. فرض على العامل من الشروط والالتزامات التى تؤدى الى اتقان العمــل وايفاء صاحب العمل حقه .

والسنة الشريفة تحض على استعمال الرجل الصالح خلافا لمن قال : « ان استئجار الصالحين امتهان لهم وذلك عملا بما جاء فى كتاب الله من استئجار شعيب لموسى عليهما السلام لأن استئجار الرجل الصالح الكفء يؤدى الى قطع أسباب النزاع واستقرار السلام الاجتمــاعى والارتياح العام بعكس استعمال الأشرار السيئة أخلاقهم وغير أهل الكفاية والأمانة الذى يؤدى الى الشــجار والشقاق والتنازع فتفســد العلاقات العامة وهذا فضلا عن أن استخدام الصالح يؤدى الى تشجيعه وتكافؤ الفرص بين الصالحين فيتقدمون على غير الصــالحين فيتقدم المجتمع كله »(١) .

ولذلك فرض الاسلام على ولى الأمر فى أى موقع أن يختــار الأكفأ اذ يقول الرسول صــلى الله عليه وسلم : « من ولى من أمــر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقــد خان الله ورسوله » .

وعن أبى هريرة أن رسول الله قال : « اذا ضيعت الأمانة فانتظــر الساعة ، قال : كيف اضاعتها يا رسول الله ؟ قال : اذا وســد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة »(٢) .

ويقول الفاروق عمر رضى الله عنه : « من استعمل رجــلا لمودة أو قرابة لا يستعمله الا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

---

(١) ص ١٣٢ من الجزء الثانى من صحيح البخارى المفسر .
(٢) رواه البخارى .

والعامل فى نظـر الاسلام ضامن لمـا يعمل فاذا قبل القيام بما لا يجيده من عمل فهو غاش للمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من غشنا فليس منا » ..

الغش خروج على الاسلام فهل يدرك العامل المقبل على عمـله ذلك ؟ .

كما أن نقص الخبرة أو قلة العلم تكون من أسباب عدم اتقـان العمل ومن كان هذا شأنه لا تفيـد أمانته فى الوفاء بعمله كطبيب قليل الحظ من علمه فهو لن يستطيع أداء واجبه على الوجه الأكمل مهمـا صدقت نيته وهو مسئول عن خطئه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن » .

ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفض استعمال الضعيف ولو كان من خيرة الصحابة .. فقد روى أن أبا ذر قال يوما : « يا رسول الله .. ألا تستعملنى ؟ فضرب عليه السلام على منكبه وقال : يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخـذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » .

والعمل قبل كل ذلك أمانة والمولى عز وجل يقول : « **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** »(١) .

ويقول : « **وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا** »(٢) .

كما يقول على لسـان ابنة شعيب وهى تحضه على استئجار موسى : « **يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوى الأمين** »(٣) .

ويقول على لسان يوسف عليه السلام : « **اجعـلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم** »(٤) .

هذه الآيات توجب ضرورة توافر شروط معينة فى العامل منها القدرة على أداء العمل واتقان هذا الأداء وأمانة السلوك .

وعندما يحث الله سبحانه وتعالى على أداء الأمانات الى أهلها وعلى

---

(١) الأنفال : ٢٧ (٢) الاسراء : ٣٤

(٣) القصص : ٢٦ (٤) يوسف : ٥٥

الوفاء بالعهود والعقود فهنا يندرج عقد العمل الذى يتعين بموجبه على العامل أن يؤدى ما اؤتمن عليه من عمل على أفضل وجه لأن العمل فى هذه الحالة أمانة فى عنقه .

ومن المعروف أن على كل من اضطلع بعمل من الأعمال أن يبذل أقصى الجهد ـ بدنيا أو ذهنيا ـ فى سبيل اتقانه حتى يكون المنتج خاليا من الشوائب والعيوب .

ولا شك فى أن هذا هو ما يميز المجتمعات المتقدمة على المجتمعات المتخلفة وهو الأمر الذى يتطلبه الاسلام من أتباعه ويحض عليه فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

تأمل على سبيل المثال قوله تعالى : « **وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ، صنع الله الذى أتقن كل شىء** »(١) .

انه تعالى شأنه يرشدنا الى كيفية أداء العمل .. فليس كل عمل صنعا ولا كل عامل صانعا حتى يتمكن ويتدرب ويجيد صنعته .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لنا : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

وتمتد مسئولية العامل فى الاسلام الى ضمان بعض أنواع الضرر الناتج عن تقصيره ويفرق الفقهاء بين ضرر التقصير والاهمال أو الخيانة والضرر الناشىء عن غير عمد أو بقوة قاهرة فيقول ابن قدامة فى كتابه (المغنى) : « فالراعى مثلا لا ضمان عليه فيما أتلف من الماشية ما لم يتعد . أما ما تلف بتعديه فيضمنه بغير خلاف ، مثل أن ينام عن السائمة أو يغفل عنها أو يتركها تتباعد عنه أو تغيب عن نظره وحفظه أو يضربها ضربا يسرف فيه أو فى غير موضع الضرب أو من غير حاجة اليه أو يسلك بها موضعا تتعرض فيه للتلف وأشباه ذلك مما يعد تفريطا وتعديا فتتلف به فعليه ضمانها لأنها تلفت بعدوانه » .

« كما أن العامل مسئول اذا كان من طبيعة عمله أن يقضى للناس حوائجهم فاستغل حاجتهم اليه ولم يقنع بما فرض له من الأجر الكافى

---

(١) النمل : ٨٨

فأخذ من هذا أو ذاك مالا .. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من استعملناه على عمل ورزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » .

وقد استعمل الرسول عليه السلام عاملا على الصدقة فلما عاد قال : هذا لكم وهذا أهدى الى ، فقال عليه السلام غاضبا : « ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول : هذا لكم وهذا أهدى الى ، فهلا جلس فى بيت أبيه أو أمه فينظر هل يهدى اليه أم لا .. ؟ »(١) .

وخلاصة القول فى عقد العمل الاسلامى أنه يتضمن :

١ ــ المساواة بين طرفى العقد .

٢ ــ الايجاب والقبول .

٣ ــ تحديد الأجر الكافى .

٤ ــ نوع العمل .

٥ ــ مدة العقد .

٦ ــ الأخذ بأجر المثل فى حالة الخلاف .

٧ ــ عدم سقوط الأجر .

٨ ــ تأمين العامل فى حاضره ومستقبله .

٩ ــ لا يجوز النص فيه على عمل مما حرم الله .

١٠ ــ مسئولية العامل على ما استؤمن عليه من مال أو عمل مفروض اتقانه أو حاجات للناس عليه قضاؤها .

* * *

(١) نظم العمل فى الاسلام لجمال الدين عياد ص ٦٤ .

obeikandl.com

عقـــود أخـــرى

يحارب الاسلام اكتناز المـال ويتوعد من يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بأشـد العذاب يوم القيامة يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها ظهورهم وجنوبهم •

ويسعى الاسلام دائمـا الى ايجاد اللقاء بين رأس المـال والعمل من أجل خير الانسان ورفاهية المجتمع لأنه قد يوجد المـال لدى الطفل القاصر أو السفيه الذى لا يحسـن التصرف أو العاجز غير القادر على العمل كما يوجد العامل المـاهر والعقل المفكر الذى ينقصـه المـال فاذا اتحد العنصران كان هناك الخير لكليهما •

لذلك أقر الاسلام بعض العقود التى تعارف الناس عليها لمـا وجد فيها الخير والبعد عن شبهة الربا أو الاستغلال البغيض ونظمها تنظيمـا يتفق وما جاء به من الرحمة والسـلام ووضع الفقهاء هذه العقود ضمن عقود الشركات التى عرفها الاسلام ومن أهم هذه العقود :

١ ــ المزارعـة :

لأن الزراعة لا غنى عنها فى هذه الدنيـا فهى أهم مصادر الغذاء للانسان والحيوان كما أنهـا من أهم مصادر المواد الخام كالقطن والكتان والمطاط وغيرها •

ويشجع الاسلام الزراعة والعمل على توسيع الرقعة الزراعيـة لتوفير الأمن الغذائى لبنى الانسان مع تزايد أعدادهم فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أحيا أرضا ميتة فهى له »(١) •

وهذا الاحياء يتم اما باصلاحها للزراعة أو بالتعمير بالبنـاء وهو ما أخذ ببعضه التقنين المدنى المصرى الحديث (المـادة ٨٧٤) التى تنص على أنه « اذا زرع مصرى أرضـا غير مزروعة أو غرسها أو بنى عليها تملك فى الحال الجزء المزروع أو المغروس أو المبنى ولو بغير ترخيص من الدولة ولكنه يفقد ملكيته بعدم الاستعمال مدة خمس

---

(١) رواه البخارى

سنوات متتابعة خلال الخمس عشرة سنة التالية للتملك » .. بينما يقول الحديث الصحيح : « وليس لمحتجر حق بعد ثلاث » أى من تملك أرضا لاعمارها ولم يفعل نزعت منه بعد ثلاث سنوات فقط .

كما يقول عليه الصلاة والسلام مبينا فضل الزراعة وحاضا عليها : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة »(١) .

وروى أحمد أن صحابيا قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذنى هاتين يقول : من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له فى كل شىء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل » .

والمزارعة هى أن يكرى صاحب الأرض أرضه للفلاح ويزوده بالبذر والحيوان ويقوم الفلاح بالزراعة وله الثلث أو الربع من المحصول حسب الاتفاق .

ويجب النص فى عقد المزارعة على محل العقد والعمل والمقابل والمدة .

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يكون أجر العامل قطعة من الأرض(٢) يزرعها لحسابه لأن من المحتمل ألا تخرج هذه القطعة المخصصة شيئا أو تصيبها آفة . كما أن المزارع فى هذا العقد غير مسئول عن الخسارة ويشترط لصحة التعاقد التخلية بين الأرض والمزارع حتى لا ينشأ نزاع فى العمل .

٢ ــ المساقاة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« قالت الأنصار للنبى صلى الله عليه وسلم : اقسم بيننا وبين اخواننا المهاجرين النخيل ، قال : لا ، فقالوا : تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة .. ، وقالوا : سمعنا وأطعنا »(٣) .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى .

وقد استدل فقهاء المسلمين بهذا الحديث على جواز المساقاة وهى أن يعهد الرجل بنخله أو كرمه أو رمانه أو كل ما له قرار وجذور ــ فى رأى البعض ــ لمن يقوم بسقيه وعمل سائر ما يحتاج اليه بجزء معلوم من ثمره •

وقد قيد الفقهاء هذا العقد بقيود منع الاستغلال وأهم هذه القيود تحديد عمل العامل فقالوا : يجب عليه السقى فقط دون الجذاذ (جنى المحصول) وحفر المساقى وسد الأحواض وتنقية العين •

٣ ــ المضاربة :

أباح الاسلام هذا النوع من الشركات فى التجارة للتيسير على الناس وهى تشبه الاجارة لأن حصة الربح فيه للشريك العامل تقابل مجهوده فى العمل • وشروطها :

١ ــ الاشتراك فى الربح •
٢ ــ التخلية بين العامل ورأس المال •
٣ ــ تحديد نصيب كل من العامل وصاحب رأس المال فى الربح •
٤ ــ اعتبار العامل أمينا •
٥ ــ عدم التزام العامل بشىء من الخسارة أو التلف الذى لا يد له فيه(١) •
٦ ــ عدم كف العامل عن التصرف المعتاد الذى يتطلبه عرف التجارة والتجار •
٧ ــ لا يصح اشتراط مبلغ محدد كربح سواء للعامل أو صاحب رأس المال لاحتمال ألا يزيد الربح عما شرط لأحدهما •

٨ ــ نفقات الشريك بالعمل فى حالة السفر لمصلحة العمل تجب فى مال الشركة وتشمل الطعام والكسوة والركوب والمبيت يصرف بالمعروف أما فى حالة الاقامة فنفقته على حسابه الخاص •

واذ عمل صاحب المال فى هذه الشركة تفسد المضاربة كما لا يعمل صاحب الأرض فى المزارعة •

* * *

(١) نظرية الاسلام الاقتصادية للمؤلف ص ١٠٦ ، ١٠٧

حق الاضراب

يقول تعالى :

« لقد خلقنا الانسان فى كبد • أيحسب أن لن يقدر عليه أحد • يقول أهلكت مالا لبدا • أيحسب أن لم يره أحد • ألم نجعل له عينين • ولسانا وشفتين • وهديناه النجدين • فلا اقتحم العقبة • وما أدراك ما العقبة • فك رقبة • أو اطعام فى يوم ذى مسغبة • يتيما ذا مقربة • أو مسكينا ذا متربة • ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة • أولئك أصحاب الميمنة • والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة »(١)•

« اذن فاقتحام عقبة الحياة وتجنب شؤمها يكون فى رأى القرآن الواضح فى هذه الآيات باشاعة المرحمة وبتحرير رقاب الناس من أنواع العبودية والاذلال وبتأمين لقمة العيش وأساسيات الحياة للضعفاء والعجزة والقاصرين عن السعى لرزقهم وباتقاء الغرور بالمال والاسراف فى اهلاكه وانفاقه فلا يطغى به متبجحا مفتخرا **« يقول أهلكت مالا لبدا »** ولا يتغاضى فى الاسراف فيه واهلاكه عن نظرات الفقراء وحسدهم وحسراتهم وحقدهم وعن تفتح عيونهم وتطلعها الى نعم الله التى حجزها المسرف لنفسه بل يجب أن يتذكر دائما أن الله جعل للفقراء عيونا ترقب فى حسرة حقها فى هذا المال وألسنة وأدوات للنقد والحسد والقيل والقال والسخط الذى يصيبهم به الحرمان ويصيب الحياة الاجتماعية بالشؤم والدمار كما جعل للغنى المسرف تلك الأدوات •• لسانا وشفتين »(٢) •

فالاسلام حريص على ايجاد المجتمع المتحاب المتراحم الذى يعيش فى اخاء وتعاون على البر والتقوى وتشيع بين أفراده الألفة والمحبة • ويعبر عن ذلك الدكتور محمد البهى من بحث له بمجلة الاعتصام(٣)

---

(١) البلد : ٤ ـ ١٩

(٢) المادية الاسلامية وأبعادها لعبد المنعم خلاف •

(٣) عدد رجب ١٣٩٦

القاهرية بعنوان « المجتمع الاسلامى مجتمع الملاك والعمال معا » فيقول :

« ومع كون المجتمع الاسلامى مجتمع ملاك وعمال معا فانه ليس مجتمعا طبقيا • لأن الملاك والعمال اخوة فى الايمان ومتساوون فى الاعتبار البشرى • وأخوة بعضهم لبعض تحول لذلك دون قيام نزاع بينهم فضلا عما يسمى بالصراع الطبقى • ومساواة بعضهم لبعض فى الاعتبار البشرى من شأنها أن تمنع سخرية بعضهم من بعض واستخفاف القوى بالضعيف • وقد جاء الأمران فى قول الله تعالى : **« انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون • يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن • ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون »**(١) •

فاذا تحول النزاع بين طائفتين من المؤمنين — ملاك وعمال •• حاكم ومحكومين — الى قتال بينهما ، وجب تدخل المؤمنين بالقوة لانهاء القتال ، ثم معالجة الأمر بينهما بعد ذلك على أساس من العدل : **« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، ان الله يحب المقسطين »**(٢) •

وهكذا : هناك ثلاثة نظم فى ملكية المال وانمائه وانفاقه •• وبالتالى هناك ثلاثة أنواع من المجتمعات :

أولا : الملكية الفردية للمال والحرية فى انمائه وانفاقه • ومجتمع هذا النظام هو المجتمع الرأسمالى ، أو مجتمع الملاك •

ثانيا : ملكية الدولة للمال ، وممارسة الدولة السيادة على الأفراد فى تحديد العمل والأجور • ومجتمع هذا النظام هو مجتمع العمال بدون مالكين للمال •

ثالثا : الملكية الفردية للمال ، والالتزام فى انفاقه وانمائه بحدود

---

(١) الحجرات : ١٠ ، ١١ (٢) الحجرات : ٩

الاستخلاف فيه ، وهذه الحدود تحول دون الطغيان به ، ومجتمع هذا النظام هو مجتمع الملاك والعمال معا ، أو المجتمع الاسلامى •

وهكذا : دخول الاستخلاف فى الملكية الفردية للمـال أى أن الانسان مستخلف فى مال الله هو الفيصل فى تمييز المجتمع الاسلامى عن المجتمعين الآخرين •• الرأسمالى •• والعمالى •• لأنه على أساس من الاستخلاف فى المـال لا توصل الملكية الفردية الى الصراع الطبقى •• وبالتالى الى التحول الى المجتمع العمالى •• فالاستخلاف كتفويض من الله تعالى يضع المـالك للمال أمام مجمـوعة من القيود أو المبادىء لا يحيد عنها •• يضعه :

* أمام المنفعة العامة للمال الخاص ، فيشرك أصحاب الحاجة معه •

* وأمام عدم الاستغلال لصاحب الحاجة عند التنمية ، فيمتنع عن الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وبالأخص أكل أموال الضعفاء •

* وأمام عدم العبث ، والتقيـد فى الانفاق على الذات أو على الآخرين ممن يجب الانفاق عليهم •

وبهذه القيود أو المبادىء لا تكون الملكية الشخصية طريقا الى الطغيان بالمـال ، والتدخل فى شئون الحكم وتوجيه سياسة المجتمع • بل تبقى طريق المباشرة النشطة للمال •

وبهذه القيود أو المبادىء كذلك لا تكون الملكية الشخصية منفـذا الى تكديس الثروة ، ولا الى الشح فى انفاقها ، فمانع الزكاة مرتد ، ويقاتل على ردته ، وتقسيم الارث ضرورة اجتماعية واقتصادية •

وبهذه القيود أو المبادىء أيضا كما تكون للمال حرمة عدم الاعتـداء عليه باتلافه أو تخريبه أو الامتناع عن العمل فى انمائه •• تكون للعامل فيه حرمة الحق فى الأجـر المجزى ، وفى ضروب الرعايات المختلفة •• كانسان يتساوى فى الاعتبار البشرى مع المـالك سواء بسواء •• » •

والاسلام ــ كما قدمنا ــ يلزم الدولة المسلمة بكفالة الحد الأدنى من ضرورات الحياة من مأكل وملبس ومسكن لرعاياها جميعا فلمـاذا الاضراب ؟ •

ان الاضراب محـرم فى المجتمعات التى تدين بالاشتراكية ويرجع

ذلك الى أن الدولة تملك جميع وسائل الانتاج من أرض ومناجم ومصانع.. كما أن الطبقة الحاكمة مفروض أنها طبقة العمـال صاحبة الأغلبية وصاحبة المصلحة ومن غير المعقول أن يضيع العمال فى ظل حكومتهم ..

وفى مصر تكفلت الدولة بتشغيل جميع الخريجين سواء من الجامعة أو من مراحل التعليم الأخـرى وهى تكفل لهم من الأجـر ما يعادل الحد الأدنى لمستوى المعيشة وتترك للخريج بعـد ذلك أن يجتهد ليرفع من مستواه .

أما النظام الاسلامى فأساسه أن كل عمل المرء لله تعالى .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم حتى يحب الشىء لا يحبه الا لله » ..

والعمل عقد بين العامل وصاحب العمل .. عقد معاملة وقد جعـل الله نفسه طرفا فى كل معاملة .. وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يد الله مع الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما » .. ومن أمثلة الخيانة فى عقد العمل :

بخس الأجر خيانة .

كما أن عدم اتقان العمل خيانة .

وقد أمرنا الله تعالى بالأمانة والوفاء وجعل عهود المسلمين وعقودهم مقدسة :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »(١) .

« ان العهد كان مسئولا ... »(٢) .

والعمل فى الاسلام عبادة ـ كما قدمنا ـ فكيف يقبل الله عبادة المسلم فى عمله اذا اتجه الى الحاق الضرر بغيره أو بالمجتمع ـ عن طريق الاضراب ـ ولم يتجه به الى تغليب الخير العام .. ؟

ولنذكر أن صاحب العمل ما هو الا مستخلف فى مال الله الذى يقوم فيه بواجب الوكالة عن صاحب المـال الأصلى فليس العامل خادما عند صاحب العمل بل هو خادم للأمة .

---

(١) المـائدة : ١ (٢) الاسراء : ٣٤

والاضراب فى هذه الحالة تعطيل ، والتعطيل سيعود ضرره على العامل وصاحب العمل وأفراد الأمة المسلمين والاقتصاد القومى كله بما سيخسره من انتاجية هذا العامل وبما سيترتب على اضرابه من اضرار بمصالح المسلمين الذين ينتظرون انتاجه .

ولنضرب مثلا يوضح ما نقول .. فاذا فرضنا أن مصنعا للغـزل قد أضرب عماله عن العمل وتوقف انتاجه .. فكم مصنع للنسيج سيتوقف بعده .. ؟ وكم مصنع من مصانع (التريكو) الصغيرة سيتعطل ؟ وكم متجر من المتاجر التى تقوم بتسويق منتجاته أو منتجات مصانع النسيج المعتمدة على غزله ستكسد أعمالها ؟ وكم ستخسر الدولة من عدم تصدير حصة الغزل المتعاقد على تصديرها ؟ علاوة على ما ستتحمله من غرامات بالعملات الحرة نتيجة لعدم الوفاء بهذه التعاقدات .. ؟

تأمل يا أخى هذه السلسلة من الأضرار التى تتحقق نتيجة لاضراب العامل بينما قاعدة الاسلام الأولى فى كل شىء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار .. » .

لا شك فى أن السؤال الذى سيتبادر الى الذهن الآن هو : وما الحل اذن اذا أحس العمال بالظلم .. ؟ .

والتشريع الاسلامى الرحيم يعرض علينـا الحل فيما ترويه السير من أن رجلا ذهب يشـكو عماله الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأنهم سرقوا بعض ماله فقام أمير المؤمنين بالبحث والتحقيق فى شكوى الرجل فتبين له أن الرجل لا يعطى عماله كفايتهم وما يسـد ضروراتهم فصاح بالرجل : « أيها اللص اذا عاد هؤلاء للسرقة قطعت يدك أنت » ..

هذا تشريع من الخليفة الراشـد الذى أعطى حق التشريع .. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اتبعوا سنتى وسنة الخلفـاء الراشدين من بعدى » ..

فاذا وجد التذمر بين العمال كان على ولى الأمر أن يبحث فى عدالة مطالبهم فان كانوا يطلبون حقا أعطوه وكان اثم التقصير على من منعهم الحق وان كان تذمرهم بغير حق فانهم الآثمون وحدهم وعليهم العقاب .

وعمر لـــا دون الدواوين لم يسجل الناس ليفرض عليهم الضرائب بل ليرتب مرتبا لكل مولود فى الاسلام .. لأن الاسلام كما قدمنا كلف الدولة بأن توفر الحد الأدنى لرعاياها من ضرورات الحياة أى المـــأكل والملبس والمسكن .

يقول الله تعالى لآدم عندما أهبطه الى الأرض « **ان لك ألا تجـــوع فيها ولا تعـــرى** »(١) .. هذا وعد الله الذى ألزم به خليفته فى الأرض ..

فاذا كفلت الدولة ذلك فلماذا الاضراب ؟ ..

ان الاسلام يدعو الى مجتمع الاخاء والتكافل ودعوة الاسلام ملحة لاقامة هذا المجتمع والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » .

انها دعوة ليرتفع المسلمون ــ عمال وأصحاب أعمال ــ الى مستوى اسلامهم وينزلوا الاسلام من قلوبهم محل الذهب والدينار فلا يبيعوا الآخرة بالدنيا .

* * *

(١) طه : ١١٨